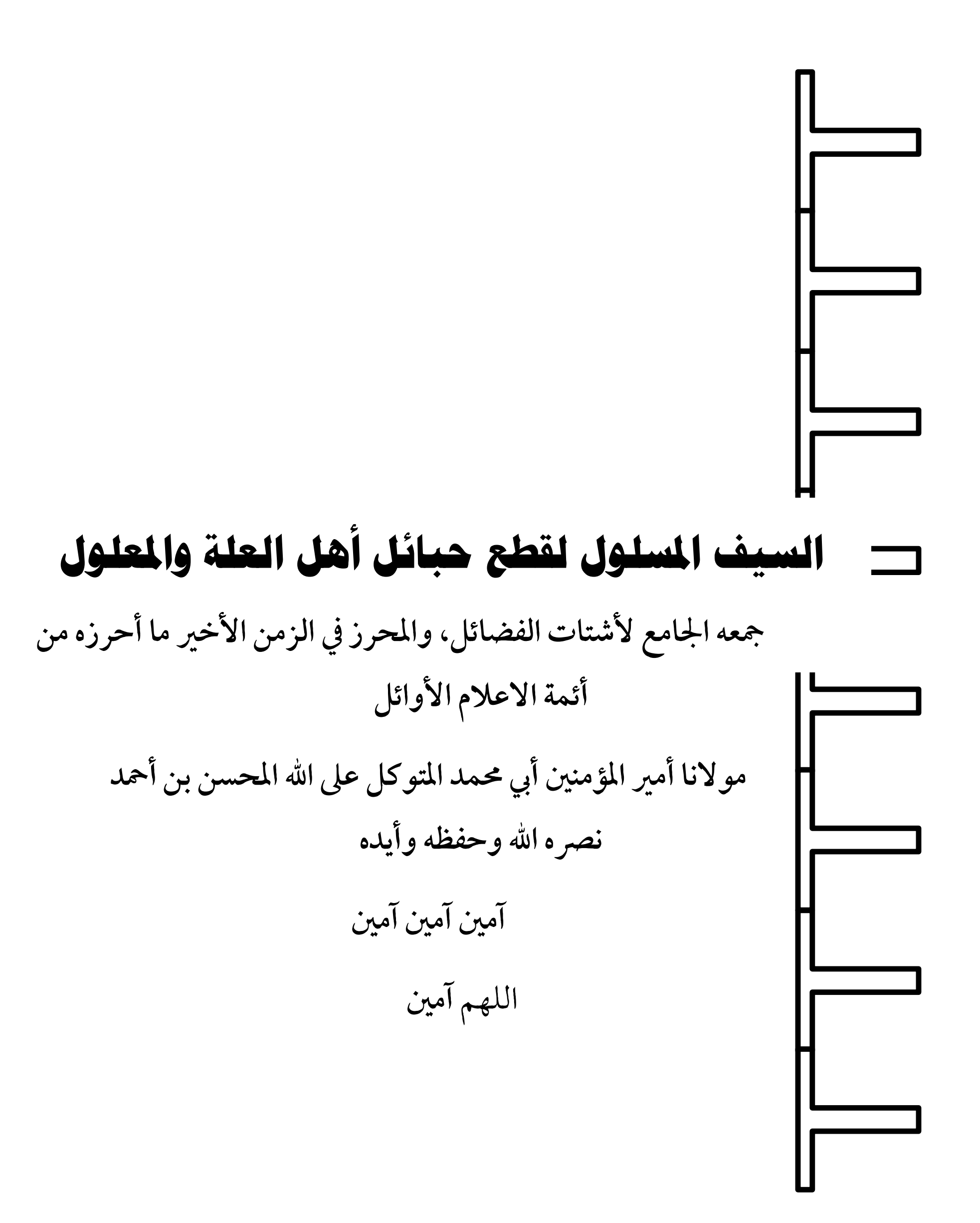


السيف المسلول لقطع حبائل أهل العلة والمعلول

جمعه الجامع لأشتات الفضائل، والمحرز في الزمن الأخير ما أحرزه من أئمة الاعلام الأوائل

مولانا أمير المؤمنين أبي محمد المتوكل على الله المحسن بن أحمد نصره الله وحفظه وأيده

آمين آمين آمين

اللهم آمين

هذه الرسالة وجدت نسخة منها بمكتبة جامع الشجرة بحوث عمرها الله بالصالحين، والعلماء العاملين، وهي بخط العلامة عبد الكريم عاطف، وبعد بحث طويل من نسخة أخرى وجدتها صدفة بمكتبة بعض طلاب العلم، وجعلتها الأصل، ودفعتها هي للصف، لأنه قال آخرها: (تمت سماعاً وقراءة على مصنف هذا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين المحسن بن أحمد أمير المؤمنين حفظه الله ونصره وجزاه الله عن المسلمين أفضل الجزاء، يوم الإثنين غرة شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩١هـ في المقام الشريف لماطلع بمحروس مدينة حوث، وقد صححناها عليه قراءةً وتصحيحاً أيده الله، فما وافق هذه النسخة فهو المصحح المعمول عليها، وما خالفها صُححت عليها) انتهى.

والنسخة الأخرى رمزت لها بـ(أ) عند المقابلة.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فطر القلوب على توحيده وتمجيده، وأورى قبسها الثاقب بأفكار صالحي صفوته وعبيده، الذي لا تدركه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الأول الآخر، الباطن الظاهر، لا تحويه العناصر، ولا تحله الأعراض والجواهر، المتصف بصفات الكمال، المتعالي عن الأنداد والأشباه والأمثال، تبارك ربنا وتعالى عن أن يكون حالّا أو محلولاً، دلت على وجوده بدائع مخلوقاته، ومحكمات مصنوعاته، واتصف لأجلها وبذاته بجميل نعوته وصفاته، القادر، العالم، الحي، الدائم، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الذي لم يلد فيكون والداً، ولم يولد فيكون مولوداً، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له شريك في ملكه أبدا، الغني عمن سواه، فلا معين له فيما أحدثه وبراه، العدل فيما حكم به وقضاه، له الأسماء الحسنى، والأمثال العلى، الصادق في وعده ووعيده، المصدق بمعجزاته لمن انتخبه من صفوته وعبيده، وأقر بوحدانيته الصامت والناطق بما أتقن وصنع، فإليه يفزع الملهوف إذا فزع، كان ولا شيء قبله شديد المحال، وهو كائن قبل الحال وعلى كل حال، ساوى بين خلقه في الخلق والموت والفناء والحياة وفي الرزق المحتوم لا المقسوم، فما شق فاه إلا كفاه ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، ولا تضمنه الأنواع والأعراض والأجناس، القريب البعيد، الفعال لما يريد، لا يظلم العباد، ولا يحب الفساد، بل دعاهم إلى الرشاد ، وحذرهم من العناد، واستأدى شكر نعمه، ليزيدنا من مواهبه ومننه وكرمه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صدقه بباهر معجزاته، وواضح[1] بيناته وآياته، وجعل منها محكمات تنزيله الشهيرة، مثيرة لدفائن العقول المنيرة، والصلاة والسلام

(١) في (أ): وأوضح.

على رسوله محمد المبعوث إلى الخاص والعام، وعلى آله سفن النجاة ونجوم الظلام، صلاة وسلاماً يتعاقبان تعاقب الدهور والأعوام، ويكونان ذخيرة لنا في يوم النشور إذا اشتد الزحام، يوم تكشف السرائر والضمائر، ويرى كل محشور ما إليه آيب وصائر، وأشهد أن خليفته من بعده أخوه المرتضى، وسيفه المنتضى، وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء، في الدنيا والأخرى، وأن ولديهما الإمامان من بعد أبيهما قاما أو قعدا، مولانا أبي محمد الحسن، ومولانا أبي عبد الله الحسين المؤتمن، سيدي الشهداء، وأن الخلافة بعدهما فيمن صلح من ذريتهما الطاهرين، وقام ودعى إلى يوم الدين.

وبعد..

فهذه الرسالة فيما يتعلق بالعقول العشرة، كاشفة لكلام فرق الفلاسفة الخمس، حاكية لوحدة مذاهبهم واتصالها بأصل واحد كاتصال يومنا بالأمس، وهم الفلاسفة العلية، والمناطقة[1] الجوهرية العرضية العلية، والباطنية النفسية [العلية][2]، والمطرفية [العنصرية العلية، والصوفية][3] الحلولية الفروجية العلية، والمنجمة داخلة في تلك الفرق مقربة من منهاج القرشي، وتجريد الطوسي، وشرحه للقوشنجي، ومن شرح الثلاثين المسألة وما سنح من كتب الكلام الحاكية لمذاهب الفلاسفة اللئام، ومن بعض رسائل المنطق فيما يتعلق بالصناعة المنطقية، ومن رسالة الاسم الأعظم، ورسالة شرح النفس للخطاب بن الحسن بن [أبي][4] الحفاظ الباطني، ومن رسالة التذكرة لحاتم بن إبراهيم الباطني، ومن رسالة الإحسان في خلق الإنسان، وما سنح من رسالة الصورة والهيولى، من رسائل إخوان الصفا، حاكياً لكلام إخوانهم الفلاسفة، وهذه الرسالة

---

(١) في (أ): والناطق.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (أ).

(٤) ساقط من (أ).

الحاكية لنحلة الباطنية المذكورة هنا هي بخط الفقيه محمد بن يحيى مرجز الباطني الهمداني الطوظاني، رقم رسالة التذكرة في شهر صفر سنة ١٢٧٦ سنة ست وسبعين ومائتين وألف، وزبر رسالة الاسم الأعظم، ورسالة شرح النفس في تاريخ شهر ربيع الأول في تلك السنة سنة ١٢٧٦، وحرر رسالة الإحسان في خلق الإنسان في سادس عشر من شهر جمادى الأخرى في تلك السنة أيضاً سنة ١٢٧٦، رقم الكل في بندر سورت من بلاد الهند بمحضر الداعي عبد القادر نجم الدين بن الداعي طيب زين الدين، قال ما لفظه: بقلم أحقر العبيد للملك الصنديد، بحر العلم الزاخر، جم الفضائل والمفاخر، سيدنا أبي محمد عبد القادر، نجم الدين بن سيدنا طيب زين الدين(١)، فلما برزت عقائدهم ورسائلهم في القراطيس، وكادت أيامهم أن تلحق بأيام المعلم الأول أرسطاطاليس لولا ما دفعهم الله به أولاً بسيفنا، وثانياً بتسليط ناجم العجم، وثالثاً: وفي كل حال بالرد بأقلامنا وأقلام أتباعنا من سادات الأنام، والعلماء الأعلام، حملني ذلك على بيان مخازيهم، ونشر فضائحهم، والرد عليهم بما سنح من الأدلة العقلية، والميره النقلية الإجمالية والتفصيلية، رجاء للثواب، وحسن المآب، وعملاً بما ورد في محكم السنة والكتاب، وحذراً من وعيد الكتمان على عدم البيان، وطمعاً في أن نكون ممن يعلن الحق عند ظهور البدعة، وحدوث الشنعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠] وقال النبي ÷: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» وقال النبي ÷: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام -أو قال الإيمان- ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»، وقد كفت علوم آبائنا الأوائل، وأفادت أتباعهم الأفاضل، واحتوت على صحيح المدلول والدلائل، ولكن لا يزال مارد الشياطين

(١) هنا انتهى كلام الباطني، وبعده كلام الإمام %.

يختطف الخطفة في كل حين فيتبعه شهاب ثاقب، وسهم صائب، يقطع أبهريه ويحل أخبثيه ويبطل أصليه ويجدع أنفه، ويسمه على الخرطوم حتى يكون عبرة لمن خلفه، وها نحن نورد كلام الفلاسفة أولاً: ليكون كالمدخل إلى ما نحن بصدده من الرد على الباطنية، ثم نفرد صناعة المناطقة، ثانياً، ثم ننقل كلام الباطنية، ثالثاً، ومن اتصل بهم ليعلم أنهم إخوان الفلاسفة من القول بتأثير العلة وإيجابها، وقدم العالم ووحدة الوجود، وإنكار الصانع الفاعل المختار المعبود، وإن رادفوا بعض الألفاظ والعبارات، أو زيفوها بالتمويهات المحتملات المقبولات.

نقل كلام القرشي لكلام الحكماء الفلاسفة

قال القرشي في منهاجه ناقلاً لكلام الفلاسفة: قالت الفلاسفة: المؤثر في العالم علة قديمة صدر عنها عقل واحد من حيث عقلت نفسها ثم تكثَّر هذا العقل من ثلاث جهات:

فمن حيث عقل باريه صدر عنه عقل وهو أشرف ما يصدر.

ومن حيث هو واجب الوجود من باريه صدر عنه نفس الفلك الأعلى وهي السماء التاسعة التي يعبر عنها المسلمون بالعرش وهو أوسط ما يصدر.

ومن حيث هو ممكن الوجود في ذاته صدر عنه جرم الفلك وهو أخسَّ الثلاثة؛ لأنه جسم لم يصدر عن عقل، ثم صدر عن الثاني عقل ثالث ونفس فلك الكواكب وجرمه، وهي السماء الثامنة التي تسمى الكرسي، ثم صدر عن العقل الثالث عقل رابع ونفس فلك زحل وجرمه وهي السماء السابعة، ثم صدر عن العقل الرابع عقل خامس ونفس فلك المشتري وجرمه وهي السماء السادسة، ثم صدر عن العقل الخامس عقل سادس ونفس فلك المريخ وجرمه وهي السماء الخامسة، ثم صدر عن العقل السادس

عقل سابع ونفس فلك الشمس وجرمه وهي السماء الرابعة، ثم صدر عن العقل السابع عقل ثامن ونفس فلك الزهرة وجرمه وهي السماء الثالثة، ثم صدر عن العقل الثامن عقل تاسع ونفس فلك عطارد وجرمه وهي السماء الثانية، ثم صدر عن العقل التاسع عقل عاشر ونفس فلك القمر وجرمه وهي السماء الأولى، والعقل العاشر هو الأدنى إلينا على حسب الترتيب، البيت:

زحل شرى مريخهم بشموسهم   فتزهرت بعطارد أقمار

وهو العقل الفعال عندهم، ومعنى ذلك أنه صدر عنه دون غيره هذه السماء وغيرها من المادة القابلة للكون والفساد بواسطة طبائع الأفلاك وحركاتها، قالوا: فالأشياء على هذا التقسيم إلى حال لا يقوم بنفسه تحلهُ الأعراض وهي الأجسام، وإلى قائم بنفسه يؤثر في الأجسام وهي النفوس، وإلى قائم بنفسه يؤثر في النفوس وهي العقول، وإلى قائم بنفسه يؤثر في العقول وهي العلة، العقل الأولي، قالوا: والأجسام عشرة، تسع سماوات، وهي حاصلة بنزول صدورها على جهة الإيجاب وحية أيضاً لأن لها نفوساً، والجسم العاشر هو هذه المادة القابلة للكون والفساد والزيادة والنقصان والتغيير والنقلة.

قالوا: وهذه العقول التسعة هي الملائكة، ولكن نسميها حقيقة الأفلاك.

قلت: فنفوا الملك الديان، وأنكروا حقيقة ملائكة الرحمن، والشياطين والشيطان.

وقالوا: الملائكة مجاز عن العقول، والشياطين هم أهل ظاهر الشريعة منكرين للتعليم القائلين بنجم مفاهيم المنقول، وبمعيار العقول.

قال في رسالة الهيولي: والصورة فصل في أقاويل الحكماء في ماهية الحركة.

اعلم أن الحركة تقال على ستة أوجه: الكون، والفساد، والزيادة، والنقصان، والتغيير، والنقلة، فالكون هو خروج الشيء من العدم والوجود من القوة إلى الفعل والفساد عكس ذلك، والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مؤثره، والنقصان عكس ذلك، والتغيير هو تبديل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات، وأما الحركة التي تسمى النقلة فهو عند جمهور الناس نزوح من مكان إلى مكان آخر، ويقال: إن النقلة هو الكون في محاذات ناحية أخرى في الزمان الآتي، وهذين[1] القولين يصح في الحركة التي على الاستقامة، فأما التي على الاستدارة فلا يصح؛ لأن المحترك على الاستدارة فلا ينتقل من مكان إلى مكان، ولا يصير في محاذات أخرى في زمان ثاني، فإن قيل إن المتحرك على الاستدارة أجزاؤه تبدل أماكنها وتصير في محاذيات أخر في زمان ثاني لا الجزء الذي هو في المركز فإنه ساكن فيه لا يتحرك، فليعلم من يقول هذا ويظن هذا الظن أو يقدر أن هذا رأي صحيح أن المركز إنما هو نقطة متوهمة وهي رأس الخط ورأس الخط لا يكون مكان الجزء من الجسم وليعلم أيضاً أن المتحرك على الاستدارة بجميع أجزائه متحرك وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير محاذياً لشيء آخر في زمان ثاني، فأما الحركة على الاستقامة فلا يمكن إلا بالانتقال من مكان إلى مكان في زمان ثاني.

فإن قيل: إنه مكن ذلك أن الإنسان قد يحرك يده أو بعض أعضائه وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان، فماذا ترى؟ كيف يكون حال اليد هو يجوز أن يتحرك ولا يخرج من مكان إلى مكان؟ وكذلك حكم الأصبع هل يجوز أن تحترك ولا تنقل من مكان إلى مكان، ولا تمر بمحاذات آخر في زمان ثاني؟

(١) قال في الأصل: (كذا في الأم) تمت. والصواب وهذان القولان.

واعلم أنه متى تحركت الأجزاء من جسم فقد تحركت تلك الجملة، ومتى تحركت الجملة فقد تحركت الأجزاء، لأن تلك الجملة لأجزاء ليست غير تلك الجملة وذلك أنه إذا تحركت أي جملة الإنسان فقد تحركت جملة أعضائه، وإذا تحركت أعضاؤه فقد تحرك هو، وإن تحرك يده وحدها فقد تحركت أجزاء اليد كلها، لأن اليد ليست بشيء غير تلك الأجزاء، وكذلك إذا تحركت أصبعاً واحداً فقد تحركت أجزاء الأصابع كلها؛ لأنه ليست الأصبع غير تلك الأجزاء فمن ظن أنه يجوز أن تتحرك الأجزاء ولا تتحرك الكل أو تحرك الجملة ولا تتحرك بعض الأجزاء فقد أخطأ.

واعلم أنه قد ظن كثير من أهل العلم أن المتحرك على الاستقامة يتحرك حركات كثيرة؛ لأنه يمر في حركته بمحاذات كثيرة في حال حركته وليس ينبغي أن يعتبر كثرة الحركات بكثرة المحاذيات، فإن السهم في مروره إلى أن تقع حركته واحدة وإن كان يمر بمحاذيات أشياءٍ كثيرة، وكذلك المتحرك على الاستدارة فحركته واحدة إلى أن يقف، وإن كان يدور أدواراً كثيرة.

واعلم أنه لا يفصل حركة من حركة إلا بسكون بينهما يعرفه ولا يشك فيه أهل صناعة الموسيقا، وذلك أن صناعتهم معرفة تأليف النغم(1) والنغم لا يكون إلا بأصواتٍ والأصوات لا تحدث إلا من تصادم الأجسام وتصادم الأجسام لا تكون إلا بالحركات، والحركات لا ينفصل بعضها من بعض إلا بسكونات تكون بينها، فمن هذا قالوا الذين نظروا في تأليف النغم أن يمر زمان كل نقرتين زمان سكون، وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة لنا في تأليف اللحون ما هي ولِـمَ هي وكيف هي، فاعرفها، من هناك انتهى كلام رسالة الهيولي والصورة في هذا الموضع وهذا من اللغو ومن الإثم منهم، ولكن نحن بصدد الرد عليهم والبيان لأقوالهم فقد قيل في مثلهم (استعين على

(1) قال في الأصل: (النَغَم بفتحتين) جمع نغمة وهي الصوت يقال: فلان حسن النغمة إذا كان حسن الصوت في القراءة، كذا في الصحاح. تمت.

كل صناعة بأهلها).

نقل كلام الطوسي وشرحه حاكياً عن الفلاسفة

وقال في تجريد الطوسي وشرحه للقوشنجي فيما يتعلق بالعقول العشرة وما هو كالدليل للفلاسفة على هوسهم.

***الفصل الثاني في الأجسام*: وهو قسمان**: فلكية، وهو الأفلاك بما فيها من الكواكب، وعنصرية وهو العناصر بما فيها من المواليد الثلاثة -أعني المعدنيات، والنباتات، والحيوانات- أما الفلكية فالكل منها يعني الأفلاك التي ليست بأجزاء لأفلاكٍ أخر، الأطلس الخالي عن النقوش يحيط بالجميع ولذلك يسمى بفلك الأفلاك، وبالفلك الأعظم وتحته فلك الثوابت، ثم فلك الكواكب السبعة السيارة على الترتيب المشهود في البيت السابق، وهذه الأفلاك هي التي لم يجوزوا أن تكون أولاً منها لأنهم وجدوا في بادي الرأي جميع الأفلاك متحركة بالحركة اليومية السريعة من المشرق إلى المغرب فأثبتوا لها فلكاً ثم وجدوا بنظر دون جميع الثوابت متحركة بحركة واحدة بطية من المغرب إلى المشرق فأثبتوا لها أخر.

وكذلك الكواكب السبعة السيارة ذوات حركات غريبة مختلفة غير متشابهة لقياس بعضها إلى بعض فأثبتوا لكل واحدٍ منها فلكاً آخر فصارت الأفلاك تسعة.

قال القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس في شرحه على الثلاثين المسألة للشيخ العلامة أحمد بن الحسن بن محمد الرصاص حاكياً لكلام الفلاسفة وما يتعلق به: والقول إن لهذا العالم صانعاً فاعلاً مختاراً وهو مذهب جميع فرق الإسلام وأكثر فرق الكفر من أهل الكتب، وكثيرٌ من عبدة الأوثان، والخلاف في ذلك مع الملحدة والفلاسفة والدهرية والطبائعية والباطنية، ثم اختلفت هذه الفرق الضالة على قولين، فالملحدة والدهرية والطبائعية والفلاسفة المتقدمون ينفون المؤثر ويقولون لا صانع

جملةً ولا تفصيلاً، ويقولون العالم قديم وما ثمة إلا ليل ونهار وشمس وأقمار وفلك دوار، وقد حكى الله تعالى مقالة الدهرية في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية: [الجاثية: ٢٤].

والقول الثاني وهو قول الباطنية والفلاسفة الإسلامية: إن أصل العالم علة موجبة وتلك العلة غير موصوفة بشيءٍ من صفات الإثبات لأنها لو وصفت تعددت وتكثرت وتلك العلة غير مختارة، والعالم ملازم لها في الوجود في القدم ملازمة شعاع الشمس لها.

قالوا: ثم إن تلك العلة أثرت في ذات يقال لها عقل فحصل لهذا العقل خلال ثلاث، عقل لباريه، وهو العلة الموصوفة، وصحة وجوده في نفسه وإمكان وجوده من باريه، وهذه الخصال تتفاوت عندهم في الرتبة والشرف أشرفها صحة وجوده من باريه، وأوسطها عقل لباريه وأدناها إمكان وجوده في نفسه، ولأجل هذه الخلال الحاصلة أثرت في ثلاثة أشياء لأجل الأشرف أشرف ولأجل الأوسط أوسط ولأجل الأدون أدون، أثرت لأجل عقله لوجوده من جهة باريه في عقل ولأجل عقله لا مكان وجوده في نفسه في فلك ولأجل عقله لباريه في نفس فلك، ثم حصل لهذا العقل من الخلال ما حصل للأول وأثر في مثل ما أثر فيه العقل الأول، ولم تزل العقول كذلك إلى أن بلغت عشرة والأفلاك تسعة والنفوس تسعاً والعقل العاشر هو المتولي لتأثير العالم من الإيجاد والإحياء والإماتة وسائر ما اشتمل عليه العالم منوط بهذا العاشر، فأما الذات المتقدمة وما يليها إلى العاشر فلا حظ لها في شيء من أمر العالم ولهم أقوال تخالف ذلك كلها متفقة أن الذي ينتهي إليه جميع العالم علة وأن العالم ملازم في وجوده وجودها في القدم وسموا هؤلاء فلاسفة إسلاميين لأنهم يقرون بظواهر الإسلام، وقيل لحدوث مذهبهم بعد بعثة النبي ÷.

[الفوارق بين الباطنية والفلاسفة]

أما الباطنية فلهم أقوال جملة من جملة أقوالهم قول يشابه هذا إلا أنه يفارقه من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم يقولون إن هذه العلة غير موصوفة بنفي ولا إثبات حتى أنهم قالوا لولا الضرورة لما نفاها الله والفلاسفة لم يتكلموا على النفي.

الثاني: أنهم يسمون العقل الأول سابقاً والثاني تالياً.

الثالث: أنهم يقولون العقل الثالث تحير لأنه لم يحصل له العلم من أول وهلة كما حصل لغيره من العقول من الخلال الثلاث، فحط في المنزلة العاشرة وسبقه ما بعده على سبيل العقوبة له فهو المنوط به أمر العالم عقوبة له ويسمون هذا العالم عالم الكون والفساد.

ومنهم من قال أمر العالم منوط بالعقل الثاني المسمى بالتالي، ويحكى عنهم أقاويل باطلة غير ذلك.

واعلم أن الكلام إنما هو في الأجسام أنفسها، وأما تراكيبها فلا خلاف في حدوث كثيرٍ منها كالحوادث اليومية. انتهى كلام ابن حابس.

قلت: **والوجه الرابع** من تفارق كلامهم كلام الفلاسفة أنهم ربما عبروا عن العقل الأول بالنور.

والخامس: أنهم شبهوا العقل بالشمس، والإنسان بالقمر، كما شبه أولوهم المجوس النار بالشمس فعبدوها لما غابت عليهم بالليل وهم شبهوا الإنسان بالقمر لما كان الإنسان محلاً لإلاههم النفس الجزئية الإنسانية المستفاد معارضها من النفس الكلية

الفلكية، كما أن ضوء القمر مستفاد من نور الشمس، ولأن النفس الجزئية أقرب من النفس الكلية.

السادس: أن بعض الباطنية النفسية أن الشمس لا يعرف محلها من الأفلاك عندهم وعند بعض الفلاسفة، وإنما ذكرت في الرابع تقريباً.

السابع: أنهم ربما عبروا عن العقل الأول بالحياة، ذكر كل ذلك في رسالة الإحسان في خلق الإنسان، ورسالة الصورة والهيولي، ولمح بذلك في رسالة شرح النفس.

[حقيقة العقل عند الباطنية]

واعلم أن حقيقة العقل عندهم جوهر مجرد عن المادة أي الهيولي في ذاته مقارن لها في فعله أي تدبيره وتصرفه وهو أي العقل الفعال يسمى المبدأ الفياض عند الحكماء، والعقل يطلق بالاشتراك عند الحكماء على معانٍ ثلاثة:

الأول: على النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا.

والثاني: على العقول العشرة المجردة .

الثالث: على القوة الناطقة للنفس الناطقة التي تدرك هذه الأشياء من جهة الاشتراك، والحاصل مما نقل الفلاسفة من الطرق الثلاث، وما اتصل بها أن العقول أو مرادفها عشرة روحانية وأن النفوس ومرادفها تسع وهي روحانية أيضاً وأن الأجرام تسعة، وأن العقل العاشر الفعال والمادة هي القابلة لنحو الكون والفساد وأن العالم الكبير روحاني وجسماني كما ذكرنا ، والروحاني جرياني وغير جرياني .

الأول: الجاري في الهيولي، والثاني: الساكن عالم الأرواح، وجوهري أيضاً، وعرض فالأول حركة النار وضياء الشمس، والثاني نور القمر المستفاد من نور الشمس،

والجسماني فلكي وعنصري، والفلكي آلي وغير آلي، وهو لطيف وكثيف، فاللطيف سماوي وغير اللطيف أرضي، واللطيف يطلق من جهة الإشتراك على ما يخرقه البصر- كالماء والهواء والدخان، ويطلق على ما يداخل الأجزاء من خلف الحوايل كالنار والنور، ويطلق على ما يدرك والكثيف يطلق على ما لا يخرقه البصر، كالحجر والشجر والتراب، وأن الذي ينتهي إليه جميع العالم عندهم علة موجبة وأن أصول العالم قديمة لا التراكيب الفرعية اليومية والحوادث فمحدثة.

فعرفت جملة أن كلام الباطنية باطناً هو كلام الفلاسفة إلا ما استثني أو ما ألبسوا بعض معانيه قوالب ألفاظ أخر حيلاً وتوصلاً إلى إبطال الإسلام بكل وجهة ومحاولة لإثبات العلة وإيجابها وتدرجاً إلى نفي الصانع الفاعل المختار، ويأبى الله إلا أن يتم نوره وأن يخمد نارهم وشرهم في شرهم فلقد ظهر إلحاد الفلاسفة وكفرهم فما ضر كضرر من خفي كفره واستتر من هؤلاء الباطنية النفسية الذي غمر ضرهم أهل البدو والحضر، بلى قد كشف الله سرّهم وأطفأ شرهم ببركات أئمة الحق الطاهرين وأتباعهم في كل وقت وحين، وقد غر الباطنية كبراؤهم المجوس المبطلون ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء:٢٢٧] وعن قريبٍ يستأصل الله جرثومتهم، ويخلي آثارهم.

قالت الحكماء: والإنسان هو العالم الصغير فنفسه جامعة لما في العالم الروحاني وجسمه جامع لما في العالم الجسماني، ألا ترى جملة أن الحواس عشر خمس باطنة يجمعها قول الشاعر:

خيال ثم فكر ثم وهم وذكر ثم حفظ فهي خمس

والظاهرة خمس يجمعها قول الشاعر:

وأبصارٌ وذوقٌ ثم شم وسمعٌ ثم خامسهن لمس

والغضب والشهوة، والسبع القوى الطبيعية وهي الجاذبة، والماسكة، والهاضمة،

والدافعة، والغادية، والنامية، والمولدة.

قال الرازي في بعض حواشي الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدَّثر:٣٠] هذه القوى التسعة عشر هي الزبانية الواقفة على أبواب جهنم، في الأولى في البدن المانعة للنفس الناطقة من معرفة الله على وفق زبانية جهنم، في الآخرة ووفاء العشرين هي الحياة الجامعة للعقل والنفس على أنواعها الثلاثة، وأجزاء الجسم ثمانية جواهر بعدد مراتب الجرم؛ لأن الجرم مرتبته من العقول العشرة، المرتبة الثالثة فهي وما تحتها إلى العاشر ثمان، فالجسم إذاً ثمانية جواهر في كون الإنسان كالعالم الصغير.

قال الشاعر الباطني: [من المتقارب]

دواك فيك ولا تشعر   وداءك منك وتستكبر
وتزعم أنك جُرمٌ صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي   بأحرفه تظهر المضمر

وهؤلاء الفلاسفة هم ممن يقول بأن الأجسام لا تخلو من الأعراض كما يقوله أهل الإسلام، وأن أجزاء الجسم ثمانية جواهر، ومن الفلاسفة القدماء من يقول إن أصل العالم جوهر غير متحيز، وهم أهل الصورة والهيولي، فالجسم عندهم مؤلف من الهيولي والصورة، فأنواع الجوهر عندهم خمسة، الهيولي والصورة، والجسم والعقل، والنفس، ويعنون بالهيولي كل جوهر قابل للصورة، ويعنون بالصورة كل شكل أو نفس يقبله الجوهر، وكما كانت أنواع الجوهر عند قدماء الحكماء تتألف من جوهرين عندهم وهما اقتران الهيولي بالصورة خمسة لأن كل جسم لابد له من هيولي وصورة، وزمان ومكان وحركة على اختلاف في حقيقة الحركة وقسمتها إلى حركة على جهة الاستقامة والاستدارة كما مر.

واعلم أن الصورة نوعان مقومة ومتممة، فالمقومة لذات الشيء هي التي إذا فارقت هيولاها بطل وجدان ذلك الشيء كالطول والعرض والعمق. فإذا فارقت الهيولي بطل وجدان الجسم والصورة المتممة للشيء هي التي تبلغ الشيء إلى أفضل حالاته التي يمكن البلوغ إليها، وإذا فارقت هيولاها بطل وجدان الهيولي كالسكون والحركة فإنها إذا فارقت الجسم لم يبطل وجدان الجسم، ومنهم من يقول أصل العالم جواهر غير متحيزة، واختلف الفلاسفة في الأعراض فمنهم من يقول إن الأجسام لا تخلو من الأعراض، ومنهم من ذكرنا ومنهم من نفى الأعراض[1] وحدوثها لأن أصل العالم عارٍ عنها ثم حلته، ومنهم من يقول بكمون الأعراض، ومنهم من ينفي الأعراض من الجسم رأساً.

وأما الصناعة المنطقية فهي المقولات العشر، واحد منها الجوهر، والتسعة أجناس الأعراض العالية وهي الكم والكيف والأين والمتى والإضافة والوضع والفعل والانفعال والملك، وقد جمع المقولات العشر قوله:

زيد[2] الطويل[3] الأزرق[4] بن[5] ... في بيته[6] بالأمس[7] كان[8] متكي
بيده[9] سيف لواه[10] فالتوى[1] ... فهذه عشر مقالات سوى

---

(١) في (أ): ومنهم من نفى الأعراض، ومنهم من ينفي الأعراض من الجسم، وأما الصناعة ...الخ.
(٢) الجوهر.
(٣) الكم.
(٤) الكيف.
(٥) الإضافة.
(٦) الأين.
(٧) المتى.
(٨) الوضع.
(٩) الملك.
(١٠) الفعل.

تفصيله ما قالوا أنا وجدنا الممكنة القائمة بذاتها من سماءٍ وأرض وإنسان وشجر وماءٍ ونار وريح وغيرها فالتمسنا اسماً جامعاً لها فوجدناه الجوهر وهو معرب كوهر وهو الأصل والمراد به عندهم الموجود لا في موضع، وما عدا الجوهر فرع أو صفة، ثم وجدنا بعد هذه الأشياء أسماء عارضة لها كالواحد والإثنين والطول والعرض، ومثلها فالتمسنا اسماً جامعاً لها فوجدناها الكم لأن هذه الأشياء تقع في جواب كم، والكم إما مقطوع أو منظوم، فالمنظوم ما كان بعضه لاصقاً ببعض كالخط والسطح والجسم التعليمي، ويسمى أيضاً الجهة[2] والزمان والمكان، فالخط عرض يقبل القسمة في الطول ونهايته النقطة، والنقطة عرض لا تقبل القسمة أصلاً، والسطح تقبل القسمة في العرض والطول ونهايته الخط، والجسم التعليمي عرض يقبل القسمة في الطول والعرض والعمق ونهايته السطح.

والفرق بين الطبيعي والتعليمي أن الطبيعي جوهر قائم بذاته والتعليمي عرض قائم بالطبيعي، وأما الزمان فهو مقدار الحركة الاستدارية عندهم، والمكان إما سطح أو بعد مجرد عن المادة، والمقطوع ما كان بعضه مبايناً لبعض مثل العدد والألفاظ والكلام.

ثم وجدنا اسماً آخر يدل على الصفات كالبياض والسواد والحرارة والبرودة والثقل والخفة والحركة والسكون والروائح والأصوات والعلم والصحة والمرض والفرح والحزن والاستقامة والانحناء فالتمسنا لذلك اسماً جامعاً فوجدناه الصفة والكيف لأنها تقع في جواب كيف، ثم وجدنا اسماً آخر لم تدخل فيما ذكرنا كإبنٍ والأب والملك والمملوك، والنصف والضعف، والعلو والسفل، وما أشبه ذلك فالتمسنا اسماً جامعاً فوجدناه المضاف؛ لأنه ليس من ذلك الشيء إلا وهو مضاف إلى غيره ومعلق به، ثم

(١) الإنفعال.

(٢) في (أ): الجسم.

وجدنا بعد هذه الأشياء أسماء تجري في الكلام كقول القائل في البيت، وفي السوق وفي الإهاب فوجدناه الأين لأنها تقع في جواب أين هو، ثم وجدنا بعد ذلك أسماء أخر تجري في الكلام كقول القائل: في أمس وفي اليوم وفي غدٍ فسميناها متى لأنها تقع في جواب متى، ثم وجدنا اسماً آخر كالنعم، وكون الرجل ذا مال وذا أهل، فسميناها الملك والجدة، ثم وجدنا بعد ذلك أسماء أخر كالقيام والقاعد والمضطجع وغيرها فسميناها الصفة والوضع، ثم وجدنا أسماء أخر كقول القائل سجن ويؤثر فسميناها[1] الإنفعال.

بحث العالم الصغير المأخوذ في[2] قول أهل الصناعة المنطقية

ويمكن أن يدخل الشيء الواحد أمور كثيرة على وجوهٍ شتى كالعالم الصغير، فالرجل داخل في الجوهر فإنه جوهر جسماني تعليمي طبيعي وداخل في الكم فإنه إحدى عشر شبراً أو اثنى عشر، وداخل في باب الإضافة فإنه والد وولد، وداخل في باب الكيف فإنه أبيض وأسود، وداخل في المكان فإنه بفارس أو بيونان، وداخل في الوقت والأين فإنه في زمان الملك فلان، وداخل في باب الجدة والملك فإنه ذا مال وذا أهل، وداخل باب الفعل فإنه أكل وسجن، وداخل في باب الانفعال فإنه ينسجن، وداخل في باب الوضع فإنه قائم قاعد.

لكن الأنحاء التي فرقته شتى واجتمعت فيه المقولات العشر كالعالم الكبير والعقل الأول والثاني النفس فهما جوهران بسيطان لا يقبلان المقولات لأنهما معقولان عندهم

(١) في (أ): زيادة (فسميناها الفعل ثم وجدنا أسماء أخر تجري في الكلام كقول القائل يتسجن ويأتثر فسميناها الإنفعال ...الخ).

(٢) قال في (أ): بحث العالم الصغير المأخوذ من قول أهل الصناعة المنطقية: .... فانقطع ولوى السيف فالتوى. تمت

لا محسوسان، أو هما من أنواع الجوهر، وهذه الصناعة المنطقية الفلسفية أول من أدرجها في الإسلام وعربها المعلم الثاني أبو نصر الفارابي، ولما كان البحث فيها[1] عن الممكنات الجوهر[2] والأعراض ولم يذكروا المؤثر وأن بها إقامة البرهان على زعمهم وجعلوا الأشكال أربعة كالأركان الأربعة وصحة إنتاجها كالكون والصلاح وعدمه كالفساد وسموا الإدراك والتصور علماً والإذعان تصديقاً، وليس العلم منهما إلا أربعة: التصور والإذعان الضروريان، والتصور والإذعان المكتسبان الاستدلاليان وما عداهم ليس بعلم، راجت[3] هذه الصناعة ومزجت بها الفنون، إذا قيل

ما حكم العلوم التي بها تفرد من بين الأنام الفلاسفة
فقل سفه والله إن خالفوا الهدى وإن وافقوا الحق المبين فَلَا سَفَه

وأما الباطنية فأقوالهم واستدلالهم صريحاً، ورمزاً مشيرة إلى القول بالعلة وتأثيرها وبوحدة الوجود، وبالعقول العشرة وبالقول بتأثير النجوم وطبائعها، وانتحال مذهب العليَّة باطناً وإن انتحلوا الإسلام ظاهراً تحيّلاً لهدم الإسلام عموماً وخاصاً للإلحاد في المعجزة العظما، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتأولوه بالتآويل الخارجة عن مدلول ألفاظه الذي نزل بها ودل عليها، وقالوا لكل ظاهر باطن لا يعرفه إلا إمامهم المعصوم، وقالوا بالتعليم منه ونفوا النظر والأخذ بما دلت عليه الأدلة نصاً أو ظاهراً أو مفهوماً، ومنهم من يعمل بالظاهر والباطن، وهم حذاق الباطنية قولاً لا عملاً، بل تعمقاً في الحيلة والتمويه، وذلك غير مخلصٍ لهم من الكفر سواءً توافق الظاهر والباطن أو تخالفا فاعلم ذلك.

(١) في (أ): فيهما.

(٢) في (أ): في الأعراض.

(٣) قال في الأصل: (جواب لما) تمت. يعني في قوله ولما كان البحث ...الخ.

[كفر الباطنية جملة وتفصيلا]

واعلم أن كفر الباطنية قد ثبت جملة وتفصيلاً بإجماع المسلمين بل بإجماع الكفار من أهل الكتب لنفيهم للصانع الفاعل المختار، ولإنكارهم النظر المعلوم من أديان الأنبياء" ضرورة، ولقولهم بالتعليم من دون رجوع إلى ما دلت عليه الأدلة بل من معصومهم وداعيهم وحدودهم بالتأويل الموافق للقول بالعلة والعقول العشرة وتأثير النجوم ونفي الحي القيوم، ولإحداثهم قول(١) ثالث وتأويل ثالث إظهار الإسلام والقول بالتأويل الباطل.

وأما تفصيلاً فلردهم كل دليل قطعي على حدته ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فُصِّلَت:٤٠] إذا عرفت هذا فنقول أما تصريحهم بالقول بالعلة والعقول العشرة فستعثر عليه إن شاء الله تعالى.

وأما استدلالهم على علتهم بالزمن وما انتحلوه باطناً تأويلاً ومقابلة فبنحو قوله تعالى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ**﴾(٢) [البقرة:١٦٣] فقال قدماء الباطنية فصول الآية سبعة تدل أربعة منها على أربعة روحانية، السابق، والتالي من الكبير، ومقابله من الصغير الأساس، والناطق، ويعنون بالأساس الحكيم الفلسفي، والناطق النبي، لأن النطقاء الأنبياء الناطقين بالظاهر والحكماء الفلاسفة القائلين بالحكمة الفلسفية، وربما قالوا الفلسفة هي التشبه بالإلاهية على قدر إمكان القدرة البشرية، قالوا وثلاثة من فصول الآية على مثلها جسمانية الطول والعرض والعمق وحروفها اثنا عشر حرفاً تدل تأويلاً على مثلها جسمانية وهي البروج الاثنى عشر،

(١) كذا في الأصل، والصواب قولاً ثالثاً وتأويلاً ثالثاً.

(٢) هكذا الآية، وفي الأصل: إلا هو العزيز الحكيم.